مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473 المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

الانقطاع المدرسي في ضوء نظرية الاختيار العقلاني
- الفردانية المنهجية أنموذجا-

School dropout in light of rational choice theory
- methodological individualism as a model -

صديقة الفتني•
جامعة محمد خيضر بسكرة، sadika.elfetni@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025/11/26 تاريخ القبول: 2025/12/25 تاريخ النشر: 2025/12/28

الملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن أسباب مشكلة الانقطاع الدراسي لدى المتعلمين وفق تفسيرات الفردانية المنهجية للعالم السوسيولوجي "ريمون بودون"، والتي تندرج بدورها ضمن نظرية الاختيار العقلاني، مركزين على كيفية تناوله لهذه المشكلة والأسباب التي تكمن وراء اختيار المتعلمين للانقطاع بدل استكمال مشوارهم الدراسي، ولتحقيق هذا الهدف استخدمنا المنهج التحليلي من أجل تحليل وتفسير أفكار "ريمون بودون".

وخلصت الدراسة إلى أن مشكلة الانقطاع المدرسي في تصور "ريمون بودون" ترتبط بالأصول الاجتماعية للمتعلمين، حيث تؤثر ظروفهم الاجتماعية على طلبهم للعلم ورغبتهم في استكمال الدراسة، كما تتم اختياراتهم للانقطاع الدراسي وفق قرارات عقلانية حرة، معتمدين في ذلك على: الكلفة والمنفعة المترتبة لقاء متابعة المتعلم لدراسته، مع الأخذ بعين الاعتبار المخاطر المتوقعة في حالة استكمال مشوار الدراسة الطويل.

الكلمات المفتاحية: الفردانية المنهجية، الانقطاع المدرسي، الاختيار العقلاني.

Abstract :

Through this study, we aim to uncover the causes of the problem of school interruption among the learners according to the explanations of the methodological individualism of the sociologist "Raymond Bowdon" Which in turn falls within the theory of rational choice, Focusing on how it addresses this problem and the reasons behind learners' choice to drop out rather than complete their academic career, To achieve this goal, we used the Analytical Method to analyze and interpret the ideas of "Raymond Bowdon".

The study concluded that the problem of school interruption in the perception of "Raymond Bowdon" is related to the social origins of learners, Where their social conditions affected their request For science and their desire to complete the studies, Their choices School dropout are also made according to free rational decisions, Depending on that: the cost and benefit of meeting the learner's pursuit of his studies, Taking into account the expected risks in the event of completing the long study path.

***Keywords**: Methodological individualism, School dropout, Rational choice*

•المؤلف المرسل: صديقة الفتني، الإيميل: sadika.elfetni@univ-biskra.dz

■ مقدمة

يعتبر "ريمون بودون" من المفكرين الكبار الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ الثقافة والفكر في النصف الثاني من القرن العشرين، سواء بإنتاجه الهام الذي ترجم إلى لغات عديدة أو بمكانته الأكاديمية، ولكنه وجد الحظوة لدى الأجانب، ولم يجدها في بلده، أولا لأنه كان ليبيراليا ويمينيا في مرحلة كان فيها الفكر الاجتماعي الفرنسي واقعا تحت البنيوية والماركسية، ثانيا لأن المحللين عادة ما كانوا يضعونه في مواجهة بيير بورديو الذي حاز لنفسه كل المشهد.(كابان ودورتيه، 2010، ص 204)

كما تحتل كتابات "ريمون بودون" مكانة فريدة في علم الاجتماع الفرنسي المعاصر، فالأستاذ ذوي التكوين الفلسفي الذي كان ناقدا للحتمية الاجتماعية ورافضا للنظريات الكبرى يحدد لعلم الاجتماع التحليل الشكلي والدقيق لواقع اجتماعي جد محدد، ويحث على مقاربة سوسيولوجية مؤسسة على الفردانية المنهجية.(قرفي، 2010، ص 99)

وعكس المقاربات النقدية والصراعية التي اهتمت بما يجري داخل النظام المدرسي من عمليات إعادة الإنتاج والتحكم السلطوي والأيديولوجي في الطبقات الاجتماعية، فإن "ريمون بودون" اهتم بدراسة المنظومة التربوية من الخارج، وانطلاقا من معطيات امبريقية حاول "ريمون بودون" تقديم نموذج تفسيري لمسارات التمدرس التراتبية والاجتماعية في المجتمع الصناعي انطلاقا من المنشأ العائلي ومستوى الدراسة والوضع الاجتماعي للمتمدرسين، وهو بذلك لا يعتبر المدرسة متواطئة وتهدف إلى خلق التراتبية، فهي تتيح فرص متكافئة للجميع لكن الأفراد يختارون مسارات مختلفة تبعا لأصلهم.(كابان ودورتيه، 2010، ص 204)

ويعد الانقطاع المدرسي أيضا أحد أشكال الموضوعات السوسيوتربوية التي تناولها ريمون بودون بالتحليل والتفسير وفق نظريته الفردانية المنهجية، فهي الأخرى غير خاضعة لسلطان البنيات الاجتماعية، بل هي مرتبطة بقرارات فردية وتتحكم فيها ظروف اجتماعية متعلقة بأسر المتعلمين، وفي هذا الطرح النظري سنعالج مشكلة الانقطاع الدراسي وفق الفردانية المنهجية بشيء من التفصيل والتحليل.

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473* المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

أولا: إشكالية الدراسة

لقد أصبحت مشكلة الانقطاع الدراسي الشغل الشاغل للعديد من الباحثين والمفكرين، خاصة بعد تزايد حدتها لدى الكثير من الدول الغربية والعربية، الأمر الذي دفعهم للانطلاق في عملية تشخيص المشكلة والبحث في أسبابها والعوامل التي تقف وراءها، من أجل اقتراح الحلول المناسبة التي تتلاءم مع طبيعة الأسباب المتوصل إليها.

إن مشكلة الانقطاع الدراسي ليست وليدة العصر بل هي مشكلة تناولها الكثير من المفكرين السابقين بالبحث والتحليل والتفسير، وعليه لا يمكننا كباحثين افتراض أسباب الظواهر واقتراح حلول لها دون الرجوع لما كتب عنها من تراث نظري الذي يمكننا من أن نبدأ من حيث انتهى السابقون.

ويعد العالم السوسيولوجي "ريمون بودون" من بين المفكرين الذين ساهموا في تشخيص مشكلة الانقطاع الدراسي، فقد قام بتفسيرها وفق نظريته الفردانية المنهجية وما ترتكز عليه من مبادئ، يشكل الفرد ضمنها أهم عنصر في تفسير وتبرير مختلف الظواهر الاجتماعية. وسنعمل في هذا المقام على دراسة هذه الإشكالية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

كيف فسر "ريمون بودون" أسباب الانقطاع الدراسي؟

ما هي الحلول التي يقترحها من أجل معالجة هذه المشكلة؟

✓ أهداف الدراسة:

يتجلى الهدف من هذه الدراسة من خلال تسليط الضوء على النقاط التالية:

التعرف على أسباب مشكلة الانقطاع الدراسي من منظور العالم السوسيولوجي "ريمون بودون".

التعرف على طرائق معالجة مشكلة الانقطاع الدراسي وفق ما يقترحه "ريمون بودون".

✓ **أهمية الدراسة:** تتجسد أهمية الدراسة في الآتي:

- تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية المشكلة التي تتناولها وكذا أهمية الرؤية النظرية التي يطرحها العالم السوسيولوجي "ريمون بودون" في سبيل تشخيص مشكلة الانقطاع الدراسي.

- كما وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال استغلال نتائجها والحلول التي تقترحها من أجل الوقاية من مشكلة الانقطاع المدرسي والمساهمة في معالجتها.

منهج الدراسة: سنعتمد في معالجة إشكالية دراستنا والإجابة على تساؤلاتها على المنهج التحليلي، من خلال تحليل وتفسير مشكلة الانقطاع الدراسي وفق تصور "ريمون بودون" وكذا استنباط النتائج الكفيلة بمواجهة هذه المشكلة.

أولا: الانقطاع المدرسي (التعريف، الأنواع، الانعكاسات)

01 - تعريف الانقطاع المدرسي:

1.1 الانقطاع في اللغة:

إن استخدام كلمة "انقطاع" يدفعنا إلى البحث عن الأصل اللغوي لهذه الكلمة. فبلسان العرب لابن منظور الفعل انقطع (ق ط ع): فعل خماسي لازم متعد بحرف ومصدره انقطاع.

وانقطع الشيء: ذهب وقته / انقطع الكلام / وقف فلم يمض. انقطع الحبل: قطع / انقطع الغيث: احتبس. وانقطع بالرجل: فهو منقطع به، إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت، أو أتاه أمر لا يقدر أن يتحرك معه. فانقطع رجاؤه.(بن ملوكة، 2020، ص 70).

فالانقطاع يعني بأشكاله المختلفة هو انقطاع صلة شيء بشيء آخر، وقد يكون هذا الانقطاع بشكل كامل وتام أو قد يتأرجح بين الصلة والانقطاع بين الحين والآخر.

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473 المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

2.1 الانقطاع المدرسي اصطلاحا:

يمكن تعريف الانقطاع الدراسي من الناحية الاصطلاحية في الآتي:

يعرفه بدران بأنه: عدم الذهاب إلى المدرسة بانتظام أثناء النصف الثاني من العام الدراسي لتلتقي الدروس بالمدرسة الثانوية النظامية مع الأقران، كما هو معمول به في النصف الأول من العام الدراسي.

كما يعرف بأنه: عدم حضور الطالب إلى المدرسة دون سبب شرعي أو عذر وجيه.

ويعرف أيضا على أنه: فعل قصدي يلجأ إليه التلميذ للتعبير عن عدم رضاه بظروف الدراسة المحيطة به بشتى أنواعها سواء كانت معاملة المعلم أو بعد المدرسة عن مقر سكناه أو عدم تأقلمه مع البرامج الدراسية أو غيرها من الأسباب.(عليا، 2017، ص 39)

ويعرفه لاسيبيل وجوميز (Lassibille and Gomez) بأنه "التخلي عن برنامج دراسي معين دون استكماله بغض النظر عن دوافع هذا التخلي".(بوطبال وبن خليفة، 2019، ص 43)

وعليه فالانقطاع الدراسي يعبر عن قطع المتعلمين صلتهم بالمدرسة وترك مقاعد الدراسة، ويكون هذا الانقطاع قصديا بناء على ظروف وعوامل معينة تختلف من فرد لآخر ومن متعلم لآخر.

02- أنواع الانقطاع المدرسي:

يكتسي الانقطاع الدراسي في أي مجتمع العديد من الأشكال والمظاهر، والتي تم تحديدها بعد دراسات علمية وملاحظات ميدانية، وتتمثل في الآتي:

1.2 الغياب عن المدرسة: يعتبر الغياب شكلا من أشكال الانقطاع المدرسي، ويمكن تعريفه في الآتي:

تعريف عمر (1987): "الغياب هو الانقطاع المفرط أو المستمر عن الحضور".

يعرفه معمرية (2013) على أنه "الغياب الذي يتم اختياريا بقرار من التلميذ، دون تدخل عوامل أخرى كالمرض، أو الاشتراك في المسابقات الفكرية أو الرياضية...وغيره".(بلقاسم وشتوان، 2016، ص 120)

وعليه يعتبر الغياب عن المدرسة أحد أشكال الانقطاع الدراسي سواء كان بصفة مستمرة ومتكررة أو بصفة ظرفية مؤقتة، لكن يبقى الشكل الثاني من الغياب وارد الحدوث لجميع التلاميذ ما دام ذلك لأسباب متعلقة بالمتعلم، وهو أقل ضررا طالما ليس بصفة متكررة.

ويمثل الغياب مشكلة كبيرة في المدارس وأول من يعاني من هذه المشكلة مدير المؤسسة لأنه هو المسؤول الأول عن غياب التلاميذ أمام الجهات التالية: ولي أمره، إدارة التعليم والحكومة.(عليا، 2017، ص 41).

2.2 التسرب المدرسي: يعبر التسرب المدرسي عن الانقطاع التام للمدرسة، ويعرف كما يلي:

هو ترك التلاميذ المتمدرسين لمقاعد الدراسة قبل نهاية مرحلة التعليم الابتدائي بنجاح. وقد عرفت اليونيسيف التسرب عام 1992 بعدم التحاق الأطفال الذين هم بعمر التعليم بالمدرسة أو تركها دون إكمال المرحلة التعليمية التي يدرس بها بنجاح، سواء كان ذلك برغبتهم أو نتيجة لعوامل أخرى، وكذلك عدم المواظبة على الدوام لعام أو أكثر.(غريب ونوي، 2020، ص 81)

وبالتالي يعبر التسرب المدرسي عن شكل آخر من الانقطاع الدراسي ويتمثل في الانقطاع التام والكامل لها بعد مزاولتها لمدة معينة من قبل المتعلمين، والتسرب أيضا يكون مقصودا بناء على ظروف معينة، كما قد تتداخل فيه جملة من العوامل تفرض على المتعلم أن يتسرب من المدرسة.

وهناك نوع آخر من الانقطاع الدراسي يتمثل في عدم التحاق الأفراد بها إطلاقا رغم وصولهم للسن القانوني الذي يسمح بولوجها، وهؤلاء الأفراد قد يتميزون بالأمية أو أنهم اكتفوا بالتعليم المتوفر بالمسجد والزوايا فقط.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

03. انعكاسات الانقطاع المدرسي:

تختلف وتتعدد انعكاسات الانقطاع المدرسي سواء على مستوى الأفراد المنقطعين أو على مستوى المجتمع الذي ينتمون إليه، ويمكن حصر هذه الانعكاسات في الآتي:

1- إهدار الطاقات والقدرات والأهداف التربوية والغايات والمرامي التي سطرتها الدولة، ويؤثر تأثيرا كبيرا وواضحا على جميع نواحي المجتمع وتكوينه، لأنه يؤدي إلى زيادة نسبة الأمية والبطالة ويسبب ضعف الاقتصاد والناتج الاجتماعي، و يزيد من اتكالية الفرد واعتماده على غيره من الأفراد في العمل على توفير الاحتياجات الأساسية، مما يجعل الفرد عالة على غيره من أفراد المجتمع.

2- تقف هذه المشكلة كحجر عثرة، وعائق كبير وفعلي أمام الإصلاحات التي يحاول رجالات التربية القيام بها، وذلك خلال تطوير البرامج والمناهج والخطط التربوية القصيرة والمتوسطة، والطويلة المدى. بالإضافة لكون انعكاساتها تواجه رجال الأمن والقانون والإصلاح وتزيد في أعبائهم الوظيفية.(بن عيسى، 2016، ص 142 - 143)

3- انتشار عمالة الأطفال واستغلالهم وظاهرة الزواج المبكر... الأمر الذي يؤدي إلى زيادة حجم المشكلات الاجتماعية كانحراف الأحداث وانتشار السرقات والاعتداء على ممتلكات الآخرين مما يؤدي إلى ضعف المجتمع وانتشار الفساد فيه.(بن زيادة ومرازقة، 2019، ص 1)

4- من أثاره اختلال البنية الاجتماعية، و تباين الطبقات الاجتماعية و عدم تكافؤ الفرص التي يحظى بها أفراد المجتمع، و بالتالي يصبح معها المجتمع مكونا من أجزاء متفاوتة، قسم منها متعلم ناجح في دراسته و حياته، و قسم فاشل في دراسته لن يحقق حياة كريمة لنفسه فيصبح عالة على مجتمعه.(بن عيسى، 2016، ص 145)

5- إن التسرب يؤدي إلى خروج أعداد كبيرة من الصغار إلى الحياة دون أن يكتسبوا الحد الأدنى للمواطنة، فالتعليم الأساسي يمثل في بعض المجتمعات العربية الحد اللازم للمواطنة، إذ أن الهدف من هذه المرحلة بصفة عامة هو اكتساب قاعدة مقبولة من القيم والأخلاق والاتجاهات، و

تنمية الأطفال عقليا وخلقيا واجتماعيا وقوميا، وتزويدهم بالقدر الأساسي من المعارف البشرية والمهارات الفنية والعلمية التي لا غنى عنها للمواطن المستنير لشق طريقه في الحياة بنجاح.

6- إن المتسربين لا يحققون حراكا وظيفيا ملموسا أو بالأحرى لا يحققون حراكا اجتماعيا صاعدا لأنفسهم وعائلاتهم في المستقبل، أي أن كلا من الأبناء والآباء يشغل نفس المستوى المتواضع في السلم الوظيفي وهذا يعني الثبات الوظيفي، ومن ثم عدم الحراك الاجتماعي الصاعد الذي ينبغي أن يسود المجتمع الديمقراطي، الذي يقوم على تكافؤ الفرص والنظام الطبقي المفتوح، هذا الأمر قد يحدث خللا في التركيب الطبقي للمجتمع.(بن عيسى، 2016، ص 146)

إن حجم المخاطر والتأثيرات التي يتركها الانقطاع المدرسي على مستوى الفرد والمجتمع يجعل منه قضية تتطلب التدخل والمعالجة وكذا الوقاية منه لتفاديه مستقبلا قدر المستطاع، فقد أصبح يشكل تهديدا على المجتمع وعلى أفراده، حيث يعتبر بؤرة توتر تنطلق منه أغلب المشكلات والأمراض الاجتماعية الأخرى التي نشهدها اليوم على مجتمعاتنا وهي في تزايد ملحوظ.

ثانيا: الفردانية المنهجية في تصور "ريمون بودون"

لقد بنى "بودون" رؤيته من خلال انتقاد التصورات السوسيولوجية الكليانية لاسيما لماركس وإميل دوركايم حين اعتبر أن داخل كل تصور شمولي يوجد أساسا مبدأ الفردانية، سواء بشكل صريح أو بشكل مخفي وغير معلن(الفرفار، 2020، ص 169)، وسنتطرق لنظرية بودون السوسيولوجية بشيء من التفصيل في العناصر التالية:

01. تعريف الفردانية المنهجية (individualisme méthodologique): يعرف بودون النزعة الفردية المنهجية بأنها المبدأ القائل:

"إن عالم الاجتماع يتعين عليه استخدام منهج يدرس الأفراد، أو الأفراد الفاعلين الموجودين في نسق للتفاعل باعتبار أن هؤلاء الأفراد هم الذرات المنطقية لتحليله... ولا يمكن لعالم الاجتماع أن يكون مقتنعا بنظرية تدرس تجمعا (طبقة، جماعة، أمة)، باعتباره الوحدة الأساسية التي تهبط لها

النظرية...، أو يكون مقتنعا بجهد يقوم به لتحليل ردود أفعال الأفراد حيال القيود التي يفرضها النسق".(خلف، 2002، ص384)

ومن خلال تعريفه هذا فهو يرى أنه يتوجب على عالم الاجتماع والباحثين في هذا المجال أن يستخدموا منهجا يستطيعون من خلاله دراسة الأفراد الفاعلين باعتبار أنهم من يقررون القيام بأفعال دون غيرها في المواقف المختلفة، وألا يقتنع بوجود بنيات ضاغطة توجه وتحدد سلوكات الأفراد وتحد من حرياتهم، فمهما تماثلت الظروف فإن ردود أفعال الأفراد ومواقفهم مختلفة، وهذا راجع لقراراتهم المبنية على حرية الاختيار.

وهي بذلك تعمل على تفسير الظواهر الاجتماعية على مرحلتين مرتبطتين عضويا:

1- مرحلة تفسير نثبت من خلالها أن هذه الظواهر الاجتماعية هي محصلة عملية إدماج أو تجميع بين أفعال فردية عقلانية.
2- مرحلة فهم تتلخص بإدراك معنى هذه الأفعال، وبعبارة أدق إيجاد الأسباب الوجيهة التي دعت الفاعلين إلى القيام بها.

ومع حساب الدور الرئيسي الذي يلعبه هنا مفهوم الفعل يمكن أيضا تسمية هذه الطريقة بـ "التحليل الفعلاني" analyse actionniste أو بكلمة واحدة "الفعلانية" actionnisme، ولهذه الطريقة تطبيقات عديدة تبدأ من تفسير ظواهر التفاعلات الأولية بين بضعة فاعلين، وحتى تفسير الظواهر العيانية التي تحدث على صعيد المجتمعات.(بودون وفيول، 2010، ص 55 - 56)

إن شرح أي ظاهرة اجتماعية حسب بودون هو أن نجعل منها نتيجة للأفعال الفردية، ويرى أن ذرة التحليل السوسيولوجي هي الفاعل الفرد، وبهذا فهو يعترض على ما يدعوه النزعة الاجتماعية، أي الفكرة القائلة بأن السلوكيات الاجتماعية موجهة عن بعد عن طريق القوى البنيوية (المؤسسات، الهيمنة الطبقية...الخ). فيعترف أن لها ضغوطات على أفعال الأفراد لكنها ليست المحدد الوحيد لسلوكاتهم.(كابان و دورتيه، 2010، ص 204). فتأثير البنيات واردة على الأفراد

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473 المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

لكنها لا تفرض نمطا معينا على ردود أفعالهم ولا تتحكم في قراراتهم، فهم يحددون اختياراتهم بطريقة عقلانية بما يتلاءم وظروفهم ويخدم مصالحهم.

02. مبادئ الفردانية المنهجية

لقد حدد "ريمون بودون" مجموعة من المبادئ التي تعتبر مسلمات تختص بها نظريته في تحليل وتفسير الأفعال الفردية، وتتمثل هذه المبادئ في التالي:

- إن كل ظاهرة اجتماعية هي نتيجة قرارات فردية و أعمال ومواقف فردية، فمفهوم الفعل يفترض مسبقا بأن يتمتع الفاعل بدرجة ما من الحرية في خياراته وألا تكون تصرفاته محددة بشكل وثيق بقوى نفسية أو اجتماعية لا قدرة له عليها، تقريبا إن ردود أفعال الإنسان تكون إرادية أو مقصودة أي أنها ناجمة عن قرار واعي نتيجة للتفكير العميق، تقريبا إن كل شيء نفعله نتيجة الاختيار الحر للقيام بفعل بطريقة أو بأخرى، علاوة على أن هذا يكون نتيجة اختيار هادف أو موجه عقلانيا، وتقريبا كل فعل إنساني هو فعل مقصود فنحن نقوم بما نريد بلوغه.(جونز، 2010، ص 60)
- أن كل عمل هو قابل للفهم مبدئيا، إنه مبدأ الفهم الذي يوجب اعتبار كل عمل وكأنه نتيجة دوافع ومبررات يمكن تحديدها، هكذا نفهم.
- أن الأعمال الفردية التي تستأثر باهتمام العلوم الاجتماعية هي تلك التي تسببت بها في الأساس مبررات قائمة في أذهان الفاعلين الاجتماعيين، تحليل الأفعال الفردية انطلاقا من كونها عقلانية مبدأ العقلانية.
- يؤكد هذا المبدأ أن المبررات ناجمة عن وضع الشخص نتائج أعماله، كما يتصورها هو في سلم الأولويات مبدأ الأداتية.
- يؤكد على كون الأشخاص معنيين جوهريا بما تعود به أعمالهم عليهم، وعلى أقربائهم من نتائج أعمالهم مبدأ الأنانية.

- أن في مستطاع الفاعلين الاجتماعيين تقدير النفقات والمداخيل على خطوط العمل الممكنة كلها، ونزوعهم إلى اختيار خط العمل الموازي لميزات التكاليف والأرباح الأكثر ايجابية مبدأ التوسع الأقصى.(بودون، 2010، ص 88 - 89)

إن مبادئ الفردانية المنهجية السابقة الذكر والتي حددها "ريمون بودون" في نظريته تشير إلى أن أفعال الأفراد وقراراتهم التي نشهدها بالمجتمع في المواقف المختلفة تتداخل في ظهروها هذه المبادئ، فطالما أن هاته الأفعال تتم وفق اختيارات عقلانية مسطرة من قبل الأفراد القائمين بها، فأفعالهم ليست مقيدة وليست اعتباطية بل هي أفعال مقصودة ومخططة.

ثالثا: الانقطاع المدرسي في ضوء الفردانية المنهجية

01. تفسير ريمون بودون للانقطاع المدرسي:

يرى "ريمون بودون" أن احتمال الوصول إلى مختلف مستويات التعليم واستكمال المشوار الدراسي يرجع سببه للأصل الاجتماعي، ويظهر ذلك في أن أبناء العائلات ذات المستوى العالي اجتماعيا يصلون في تحصيلهم إلى الدراسات العليا والمعاهد العليا، بينما وصول أبناء العمال البسطاء ضئيل جدا فلا يصلون إلى مستويات عالية من الدراسة.(بودبزة، 2013، ص 328)، وهو يرى بأن المعنى الذي يخلعه الفرد على المستوى التعليمي يختلف حسب وضعيته الاجتماعية.(زمام، 2013، ص 184)

وترتكز نظرية "ريمون بودون" على صيرورة انتقالية، إذ يدرج تحليل التفاوتات الدراسية داخل الحقل الأوسع للتفاوتات الاجتماعية، إضافة إلى إمكانية أبناء الطبقة الفقيرة من استكمال دراستهم أو مقاطعتها، وهو الأمر الذي أدى به إلى تفحص شروط الحركية الاجتماعية في ظل المجتمعات الصناعية، وطرح السؤال التالي: كيف يتم التوصل إلى مكانة اجتماعية معينة في ظل البنية الاجتماعية؟

مجلة التغير الاجتماعي *ISSN 2507-7473 المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

وقد تمثلت إجابته عن هذا السؤال فيما يلي: ينتج إسناد الوضعيات الاجتماعية عن صيرورة معقدة، ينبغي التمييز داخلها للحظتين أساسيتين مهيكلتين بشكل مختلف وهما التوزيع الدراسي والتوزيع الاجتماعي للوضعيات، فهو يرى بأن التوزيع الاجتماعي محدد من قبل إكراهات اقتصادية وتكنولوجية يحددها المجتمع فمن يمتلك المؤهلات المهنية في مجال معين هو الأجدر بالولوج في تلك المهنة، أما بخصوص التوزيع الدراسي فهو يرى بأن الإكراهات البنيوية تقل وتضعف وتحل محلها قرارات فردية فيما يخص قرارات الأفراد للمواصلة أو التوقف عن الدراسة.

في هذا الأفق، ومع اعتبار أن الفضاء المدرسي يقدم ثمانية تفرعات رئيسية، يفترض أن عند كل مفترق يختار التلميذ وأسرته المسلك الأكثر مردودية تبعا لمصلحتها، وهذه الخيارات تتنوع وتختلف تبعا لمتغيرات تتعلق بالموقع الاجتماعي للأفراد إذ يتخذ الأفراد قراراتهم بناء على ثلاث مؤثرات هي:

- ✓ الكلفة المترتبة لقاء متابعة المسار الدراسي الطويل.
- ✓ المنافع التي سيجنيها الفرد إذا قرر متابعة دراسته.
- ✓ المخاطر التي قد يواجهها في حالة متابعة مساره التعليمي، وتتمثل في احتمال الرسوب أو التأخر في بلوغ الهدف، أو احتمال ألا يجد وظيفة تناسب المستوى التعليمي المحقق.

هذه المؤثرات الثلاثة يختلف تقييمها بين الأفراد والعائلات تبعا للأصل الاجتماعي، وهكذا فالفائدة من التعليم تتراجع عندما يزداد الخطر، أو يرتفع الثمن، أو تنخفض المنافع، فاحتمال قرار متابعة المسار التعليمي يكون أكثر عندما تكون فائدته مرتفعة. فالخيارات المتفاوتة تعكس التفاوت الاجتماعي بين الأفراد.

فعلى سبيل المثال فإن ولوج ابن أستاذ جامعي لمدرسة متعددة التقنيات يندرج في صيرورة استمرارية الوضع الأسري، فيعمل الابن على الحفاظ عليه أو تحسينه بدرجة معينة من دون قطيعة ملحوظة، أما ابن العامل الحاصل على شهادة الباكالوريا فقد تحذوه الرغبة - اختيار حر - في طرق مسلك قصير المدى للارتقاء الاجتماعي، يبقى أقل تكلفة ماديا وسيكولوجيا وأقل مجازفة اجتماعيا

من خلال مسلك مهني عالي أو ولوج مدرسة جهوية للمهندسين أقل رقيا من المدرسة العليا، وإنما أقل انتقائية على مستوى الالتحاق بها كما على مستوى التخرج، وأكثر اقتصادا بحكم قربها.(غريب، 2009، ص 68 - 69)

وبالتالي يظهر الاختيار العقلاني في التوجيه نحو المراحل الدراسية الانتقالية أي مراحل التوجيه نحو التخصصات (العلمية / الأدبية)، وبين التخصصات نفسها مثل (الطب، التعليم، المحامات...) وهذه المراحل مصيرية جدا للأبناء وعائلاتهم في مختلف الشرائح الاجتماعية.(بودبزة، 2013، ص 328)

وبذلك يؤكد "ريمون بودون" في كتابه تفاوت الحظوظ المدرسية الخيارات المدرسية بوصفها قرارات توجه عقلانية، تأخذ بالحسبان الأصل الاجتماعي كمنظومة مرجعية، ويرى في مؤلفه أن الخيار الدراسي يعتمد بشكل ضعيف على الأصل الاجتماعي عندما يكون النجاح المدرسي جيدا، وبشكل قوي عندما يكون النجاح المدرسي سيئا.(كابان ودورتيه، 2010، ص 204)، فكلما كان الطالب المنحدر من عائلة فقيرة متفوقا فإن احتمال اختياره لمواصلة الدراسة يكون متوقعا حتى وإن كانت ظروفه الاجتماعية صعبة، بينما الطالب الغير متفوق فإن احتمال إكماله للدراسة يكون واردا بشكل أقل، فبناء على الشروط السابق ذكرها فإن التكلفة ستكون عالية في مقابل المخاطر التي ستواجهه والمتمثلة في رسوبه نتيجة ضعف تحصيله الدراسي، وبالتالي المنفعة المتوقعة من انتهاء الدراسة والحصول على وظيفة تكون بعيدة المدى، وبالتالي انقطاعه عن الدراسة يكون بشكل قصدي واختياري بما يتناسب ومصلحته وظروفه الاجتماعية.

وقد وضح "ريمون بودون" في تحليلاته أن السبب الرئيسي الذي يقف وراء اختيار المتعلمين لأن يتوقفوا عن مزاولة الدراسة يتمثل في "الطلب للعلم" فهو يرى أن في المتوسط تجهد العائلات الميسورة في طلب العلم والثقافة أكثر من العائلات الفقيرة، كما أنه بقدر ما تكون النتائج الدراسية ضعيفة بقدر ما يكون الفارق في طلب العلم والثقافة كبيرا بين أبناء الطبقة الغنية والفقيرة، لأن الطبقة الفقيرة ستختار ألا يكمل أبنائها الدراسة، عكس الطبقة الغنية التي تواصل تشجيعهم(بودون وفيول، 2009، ص 57 - 58)، فالطلب للعلم نجده أكثر عند أبناء الطبقة الغنية لأن الوضعية الاجتماعية التي يعيشونها تشجع على استمرار ومواصلة مشوارهم الدراسي واختيار المجال

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

الذي يريدون، طالما أن هذا الأمر لن يكلفهم حتى وإن لم يحققوا نجاحا، في حين أن أبناء العمال والطبقة الفقيرة فوضعيتهم الاجتماعية غير محفزة وغير مشجعة، بل وأن قراراتهم في مواصلة دراساتهم يكون على حساب أشياء أخرى كأن يكون مكلفا والتكاليف سترهق كاهل أسرهم، مما يثبط من طموحاتهم ويجعلها محدودة ضمن اختيارات معينة.

بالتالي الطلب للعلم لا يتغير وإنما يتأثر بالظروف الاجتماعية للمتعلمين، فكلما كانت الظروف الاجتماعية أحسن زاد إقبال المتعلمين على الدراسة وتمسكهم بها، بينما إذا كانت ظروفهم الاجتماعية قاهرة وصعبة فسيختارون التوقف والتوجه إلى الحياة العملية.(بودون وفيول، 2009، ص 65 - 66).

ويؤكد ريمون بودون أن أبناء الطبقة العاملة ينقصهم الطموح وإستراتيجية منظمة لاختياراتهم الفردية خاصة وأن الرسوب يشكل لهم حالة خطر، فالطلب للعلم الذي استوجب تفسيرا وفق طريقة الفردانية المنهجية هو سبب في تفاوت الفرص الدراسية وسبب في عدم إمكانية أبناء الطبقة الفقيرة من استكمال دراستهم.(بودبزة، 2013، ص 329).

إن الأمر يكشف عن فعل استراتيجي يتعين على المهتمين به مهمة تحليله، فالفشل المدرسي مثلا يرتبط بالفاعل الاجتماعي واستراتجياته، فهو يعبر عن تجربة إستراتيجية مهمة في المشروع الشخصي للفاعل، فالمدرسة لم تعد رهانا لتحقيق مكانة اجتماعية مثلا عند بعض الفاشلين مدرسيا، أو أن يصبح الفشل معبرا عن رفضهم لنمط التعليم والثقافة المدرسية السائدة فيها كما ترى بعض النظريات الصراعية، وعليه ووفق هذا المنظور يعد الفاشل مدرسيا معبرا عن فئة أو جيل لم يعد الفرد فيها شخصا مسالما خاضعا لتكوين هيئ من قبل الآخر الذي يتحكم فيه، بل أصبح يعتبر فردا نشيطا فعالا له نظامه القيمي الخاص به، كما غدا قادرا على الاعتراض والرفض للأمور التي تتنافى مع رؤيته.(بولعراس، 2018، ص 33).

02. مقترحات ريمون بودون لمواجهة الانقطاع المدرسي:

إن النظرية الفردانية المنهجية تمدنا ببعض المقترحات وتحدد لنا بعض الإجراءات التي من شأنها التقليل من حدة الظروف الناتجة عن الأصول الاجتماعية لأبناء الطبقة الفقيرة والتي بدورها تؤثر على مدى طلبهم للعلم، وتتمثل مقترحات "ريمون بودون" في التالي:

- تعزيز التراتبية الاجتماعية المبنية على الجدارة والاستحقاق والأهلية الفردية حتى تكون لأبناء الطبقة الفقيرة الفرصة في استكمال مشوارها الدراسي، والوصول إلى أعلى المرتبات طالما لديها كل القدرات ولديها الرغبة في طلب العلم. (بودون وفيول، 2009، 67 - 68). فكلما كان النجاح المدرسي مبني على الجدارة والاستحقاق بناء على مجهودات الطلبة وقدراتهم ،بصرف النظر عن أصولهم وظروفهم الاجتماعية، كلما ساهم ذلك في عدم انقطاع الطلبة المنحدرين من أسر ميسورة الحال عن الدراسة.
- تطوير نظام المنح الدراسية من أجل الطلبة المنحدرين من وسط اجتماعي متوسط، فطالما أن أبناء الطبقة الفقيرة يتخذون قراراتهم في مواصلة الدراسة بناء على مدى التكلفة المادية التي سيتحملونها في حالة قبول طلبهم للعلم والاستمرار فيه، هذا ما يوجب ضرورة الزيادة في المنح التي يتحصلون عليها أو عدم حرمانهم منها في حالة رسوبهم، هذا ما قد يزيد الدافعية لديهم في مواصلة الدراسة.(بودون وفيول، 2009، 67 - 68). فالدعم المادي ضروري لتحفيز الطلبة الفقراء وتشجيعهم لتكملة مشوارهم الدراسي، حتى لا يكون هناك مجال يسمح لهم بالتفكير في التكاليف المترتبة عن مواصلة الدراسة، هذا التفكير الذي قد ينتهي بهم في الأخير للانقطاع عن الدراسة.

■ الخاتمة:

في الأخير نخلص إلى أن إسهامات "ريمون بودون" تحتل مكانة مرموقة من خلال أعماله وإنجازاته التي يعترف بها الكثير من العلماء والمفكرين الذين عاصروه، والباحثين اللاحقين المهتمين بمجال السوسيولوجيا، فقد كانت نظريته الفردانية المنهجية ذات وزن علمي معترف به في تفسير

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 10 العدد 02 (2025) * ص61 -78

الظواهر الاجتماعية، وإسهاماته تمثل ردا على النظريات الكليانية التي ترى بأن الأفراد ما هم إلا خاضعين لسلطان البنيات المجتمعية.

وقد برزت نظريته الفردانية المنهجية أكثر من خلال تناوله بالتحليل لأسباب ترك المتعلمين مقاعد الدراسة، فقد اعتبر انقطاعهم التام عنها عملية مقصودة مبنية على اختيارات فردية عقلانية، هذه الاختيارات تتم دراستها من طرف المتعلمين وأسرهم بناء على وضعهم الاجتماعي والإمكانات المادية المتاحة.

وقد حدد ريمون بودون هذه العملية العقلانية في شكل معادلة تتداخل فيها ثلاثة عناصر مهمة، يأخذها المتعلمون وأسرهم بعين الاعتبار أثناء اتخاذ قراراتهم حول المواصلة أو التوقف عن الدراسة، وتتلخص في (الكلفة، المنافع والمخاطر)، حيث أن المتعلمين وأسرهم يقدرون التكلفة المترتبة عن استكمال الأبناء لدراستهم، مقابل المنفعة المحققة من استكمالها مع الأخذ بعين الاعتبار المعيقات المختلفة التي ستؤدي إلى تأخير المنفعة وزيادة التكلفة، وحسب "ريمون بودون" أن هذه القرارات العقلية تتأثر بالظروف الاجتماعية لأسر المتعلمين خاصة الفقراء، حيث أنهم لا يستطيعون احتمال تكلفة دراسة أبنائهم خصوصا إذا لم يحققوا نجاحا دراسيا، في حين أن الأسر الغنية أو الميسورة يواصل أبنائها طلب العلم والاستمرار في الدراسة حتى وإن أثبتوا فشلهم، لأن الأسر الغنية قادرة على احتمال تكلفة دراسة أبنائهم حتى وإن رسبوا.

بناء على تفسيرات الفردانية المنهجية لمشكلة الانقطاع الدراسي لدى المتعلمين يمكننا طرح جملة من المقترحات الوقائية والعلاجية لهذه المشكلة، والمتمثلة في الآتي:

- ضرورة تخصيص منح موجهة للمتعلمين أبناء العائلات الفقيرة سواء من طرف الدولة أو من قبل الجمعيات لسد احتياجاتهم المدرسية على الأقل.

- ضرورة توفير مدراس في المناطق النائية وتوفير النقل المدرسي للمتعلمين الذين يسكنون بعيدا عن المدارس.

- العمل على إيجاد حلول للمشكلات التربوية لدى المتعلمين والتي تدفعهم للرسوب المتكرر الذي يمهد لانقطاعهم الدراسي.

- السماح للطلبة المنقطعين من الالتحاق بالدراسة بغض النظر عن سنهم وفق شروط منطقية.

- ضرورة توفير مناصب شغل للخريجين من خلال ربط التعليم العالي بالقطاع الاقتصادي والقطاع الخاص حتى يكون للطلبة حافز لمواصلة الدراسة.

- احتواء التلاميذ المنقطعين وتوجيههم لمراكز التكوين المهني لمواصلة دراستهم وتكوينهم.

■ قائمة المراجع:

- غريب حسين، نوي أحمد،(2020)، دور المطعم المدرسي في الحد من ظاهرتي التغيب والتسرب المدرسي – دراسة استكشافية ببعض مدارس بلدية عين الريش بالمسيلة -، مجلة دراسات نفسية وتربوية، المجلد 13، العدد1، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

- بن عيسى رابح،(2016)، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي (دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة زريبة الوادي – بسكرة -، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص علم اجتماع التربية، شعبة علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

- بودون ريمون، فيول رينو،(2010)، الطرائق في علم الاجتماع، (بطش مروان)،لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- بودون ريمون،(2010)، أبحاث في النظرية العامة في العقلانية العمل الاجتماعي والحس المشترك، (سليمان جورج)، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

- بوطبال سعد الدين، بن خليفة، فاطيمة،(2019)، العوامل النفسية الاجتماعية والتربوية للانقطاع المدرسي لدى المتعلمين في مرحلة التعليم الإلزامي بالجزائر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 7، العدد 1، جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر.

- عليا سماح،(2017)، طرق التدريس في مواجهة الانقطاع المدرسي، مجلة دفاتر المخبر، المجلد 12، العدد 2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

- بن ملوكة شهيناز،(2020)، الانقطاع المدرسي: قضية اجتماعية ومؤسساتية، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 5، العدد1، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.

- غريب عبد الكريم،(2009)، سوسيولوجيا المدرسة، المغرب، منشورات عالم التربية.

- جونز فيليب،(2010)، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، (محمد ياسر الخواجة)، مصر، مصر العربية للنشر والتوزيع.

- كابان فيليب، دورتيه جان فرانسوا،(2010)، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، (حسن إياس)، سوريا، دار الفرقد.

- قرفي عبد الحميد،(2010)، بناء المعرفة السوسيولوجية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- بن زيادة محمد الهادي، مرازقة جمال،(2019)، ظاهرة الانقطاع المبكر عن الدراسة وأثره على مستقبل التلاميذ في الجزائر(الأسباب – سبل الوقاية – العلاج)، المجلة العلمية التربية البدنية والرياضية، المجلد 26، العدد 2، جامعة إبراهيم سلطان شيبوط، الجزائر، الجزائر.

- بلقاسم محمد، شتوان حاج،(2016)، الضغوط النفسية وعلاقتها بأسباب الغياب المدرسي عند تلاميذ الطور الثانوي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 2، العدد 3، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر.

- مصطفى خلف عبد الجواد،(2002)، قراءات معاصرة في علم الاجتماع، (محمد الجوهري)، سوريا، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

- بودبزة ناصر،(2013)، العائلات والفعل التربوي - ممارسة تقليدية أم استراتيجية لإنتاج الخيارات -، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

- بولعراس نور الدين،(2018)، المقاربة السوسيولوجية في البحث الاجتماعي: محاولة ميتودولوجية امبريقية من أجل تجاوز إشكالية الاختيار- العرض والتوظيف-، المجلد 10، العدد 3، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

- زمام نور الدين،(2013)، الأسرة والمدرسة - رؤية نظرية -، مجلات دفاتر المخبر، المجلد 8، العدد 2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائ.